

الإصلاح الاقتصادي عند الشيخ صالح الطائي في كتابه معالم الإيمان في تفسير القرآن**هبة فاروق غضبان السوداني**Fffef99@gmail.com**أ.م.د. إنتصار فاضل مخيف**intisar.fadhil@ircoedu.uobaghdad.edu.iq**جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية/ قسم علوم القرآن الكريم والتربية الاسلامية****الملخص:**

يعد الإصلاح الاقتصادي من أولى مطالب الشعوب، وذلك بسبب الاقتصادي الذي استشرى بالمجتمعات، وتعددت أنواعه بحيث أصبحت مدمره لاقتصاديات الدول وأكثر الدول تأثراً الدول الإسلامية، واعتنت الشريعة الإسلامية التي جاءت من كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، بالإصلاح الاقتصادي وذلك من خلال تحريم أنواع الكسب الغير مشروع مثل: الربا، والرشوة، والغش، والسرقه، والغصب وغير ذلك، وعملت الشريعة الإسلامية على إيجاد حلول للحصول على الكسب المشروع، وذلك من خلال الحث على العمل، والاعتماد على التكافل الاقتصادي في الإسلام وذلك في وجوب الزكاة والترغيب بالصدقات، وجعل من الكفارات الواجبة إطعام الفقراء أو عتق الرقيق، وغير ذلك من الحلول التي رفعت المستوى المعيشي لبعض الناس وأصلحت حالهم الاقتصادي والمعيشي. نعرف الإصلاح الاقتصادي في اللغة والاصطلاح.

الكلمات المفتاحية: التفسير – الإصلاح – الاقتصادي.**الاقتصاد لغة واصطلاحاً:****الاقتصاد في اللغة:**

القاف والصاد والذال، أصول ثلاثة يدل احدهما على إتيان شيء^(١)، والآخر على اكتناز في الشيء^(٢)، والقصد استقامة الطريق^(٣)، والقصد في المعيشة أي لا تسرف ولا تقتّر^(٤)، والاقتصاد ضد الإفراط^(٥)، والاقتصاد علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع^(٦).

الاقتصاد في الاصطلاح:

يعرف الاقتصاد بأنه ذلك العلم الاجتماعي الذي يعتني بدراسة المشكلات التي تنشأ من وجود حاجات الإنسان ورغباته المتعددة، مقابل موارد اقتصادية وإمكانات محدودة نسبياً لإشباعها^(٧)، ويعرف بأنه الدراسة العلمية للظواهر المتعلقة بالنشاط الاقتصادي^(٨).

والإصلاح الاقتصادي:

هو إصلاح المؤسسات الاقتصادية وهيكله الإنتاج واستخدام امثل للموارد المتاحة وتخفيض الطلب وزيادة العرض^(٩). ويعرف الاقتصاد الإسلامي بأنه: الأحكام والقواعد الشرعية التي تنظم كسب المال وانفاقه وأوجه تنميته^(١٠).

ويعرف أيضاً:

هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي تستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر^(١١)

لا يختلف اثنان أن مسألة الاقتصاد ركيزة أساسية ، شغلت فكر وعقول الشعوب والأمم في الماضي والحاضر والمستقبل ، كيف لا ؟ وهي قضية ترتبط بما زينه الله في نفوس البشر ألا وهو المال ، قال تعالى : **II: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** O (١٢) ، فكان الذهب والفضة والأنعام وكل ما يرمز إليه بقيمة مالية في الآية الكريمة سبباً من أسباب التمتع بالحياة وتحقيق التقدم والازدهار ، فحق بذلك أن تتال هذه القضية هذا النصيب من الاهتمام ، الذي ترجم بعد ذلك إلى أساس مهم في تقيم الأمم والحضارات.

فكان بذلك عنواناً للمجد والسيادة لمن تمكن من تثبيت هذه الركيزة وتطويرها ، وفي المقابل تأخر وتخلف لمن لم يستثمر فيه ، وبناء على ذلك نلمس تأثير الإنسان بذلك تأثيراً مباشراً في جميع أحواله الفكرية والدينية والسلوكية ، ناهيك عن تأثير الأمة به عسكرياً وسياسياً واجتماعياً وفي جميع مناحي الحياة عموماً . ولما كان هذا شأن الاقتصاد وتأثيره في العالم، فلا بد أن يكون للإسلام نظريته التي من شأنها ضبط العلاقات الاقتصادية والتعاملات المالية ، هذه الأخيرة التي نحن اليوم في أمس الحاجة إليها ، خاصة مع أنفتاح المعاملات المالية ، بشكل واسع وعجيب ، فتكاد كل يوم تستحدث طريقة أو عدة طرق لجلب المال والاستثمار دون أن يستند أصحابها إلى أسس شرعية وضوابط تحكمها وما ذاك إلا تعبير عن حقيقة الطمع والجشع الذي يسعى إلى جمع المال وتحصيله وبالتالي التمتع به ، ولو حساب الدوس على القيم والأخلاق . وبالعودة لقصص الأنبياء (عليهم السلام) وسيرتهم الإصلاحية للفساد السائد في أوقامهم آنذاك، " فإن قصة شعيب (عليه السلام) تعكس أضواء على التعامل الاقتصادي" (١٣)، وبالتالي فهي تُعطينا صورة متكاملة وواضحة فيما يخص إصلاح الاقتصاد، الذي رفع رايته خطيب الأنبياء شعيب (عليه السلام) قائلاً : **﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** (١٤) ، شعار رفعه النبي الصالح المصلح بعدما تسرب الخلل في قومه إلى العقيدة فعبدوا الأوثان وكفروا بالله بالإضافة إلى الفساد والخلل الذي لحق سلوكياتهم وتعاملاتهم خاصة ما تعلق منها بالمعاملات المالية ، فقد عرفوا بالتطفيف والغش ، وبخس الناس أشياءهم . وقد وصفهم القرآن الكريم بصفتين (١٥) .

١. الظلم: في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾** (١٦) .
٢. الكفر: في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِفَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾** (١٧) .

ويصف القرطبي حالهم بقوله: " إنهم صنف من البشر أنصفوا بالالتواء، فتلاعبوا بالموازن ، وأخلوا بالحقوق والواجبات ، فكانوا إذا جاءهم بائع بالطعام أخذوا بكيل زائد ، واستوفوا بغاية ما يقدرون ، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص وشحوا له بغاية ما يقدرون ، فكانوا بذلك سبباً في عذاب وشقاء الضعفاء والمساكين، فسهلت بذلك عندهم لغة التعدي على حقوق الآخرين وسلب أموالهم بكل وسيلة ممكنة، ووصل بهم الأمر إلى فرض ضرائب على التجار الذين كانوا يملكون بقوافلهم من خلال ديارهم مستغلين بذلك أهمية موقعهم الجغرافي أبشع استغلال" (١٨).

بعد هذه المقدمة الوجيزة للأوضاع السائدة في أهل مدين آنذاك تنتقل إلى عرض الرسالة الإصلاحية في نقطتين مهمتين تركز من خلالهما على التخطيط الإصلاحي : تخطيط محكم وفقه واضح لدى نبي الله شعيب (عليه السلام) ، تأكد ذلك من خلال بعد نظره ، في قضية قومه التي مست في الأساس

" مسألة ضبط المقاييس"^(١٩) ، والتي أرتبطت بنقطتين مهمتين ، إرتأى تقديمها ليلبغ بعدها هدفه وغايته ويتعلق الأمر بنقطتين:

١ - إصلاح العقيدة والتوحيد:

إن انطلاق مسيرة الإصلاح في حياة النبي شعيب (عليه السلام) لم تتميز سابقها من مسيرات الأنبياء والمرسلين ، حيث ابتدأت بالدعوة إلى الوحدةانية ونبذ عبادة الشرك لأنه يعلم أن هذه القاعدة تنبثق منها كل مناهج الحياة وكل أوضاعها ، كما أن منها تنبثق قواعد السلوك عن الخلق والتعامل ، ولا تستقيم كلها إلا إذا استقامت هذه القاعدة ، فدعا قومه إلى عبادة الله لا شريك، قال تعالى : **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** O^(٢٠) ، على أساس أنها هناك علاقة وثيقة بين الإيمان ومقتضيات ذلك الإيمان سواء تعلق الإيمان بالله أو باليوم الآخر ، كما يوضحه سيد قطب بقوله في تفسيره : " إن الذي يؤمن بالله تعالى ويصدق به ، يحظى بالرعاية الإلهية ، التي تتوسع من خلالها آفاق تفكيره ، وتصقل شخصيته ، وتقوي بصيرته فيرى الأمور من منظرها الصحيح " ^(٢١).

كما تلازمت عقيدة الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر ، لأن الإنسان إذا آمن بوجود يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين ، يسألهم فيه عما قدموا ، عندها يستقيم سلوكهم ، كما أنهم " يعلمون أن الحياة الدنيا فانية وأن الدار الآخرة هي دار البقاء والخلود ، فيحرصون على العمل الطيب أي تركز أساساً على المحاسبة والمراقبة الدقيقة للنفس ، هذه الأخيرة التي تدفع بواقع الأمر إلى الالتزام بالأمانة والصدق في كل قول وعمل ومجال بما في ذلك المعاملات المالية .

ومفاد الرسالة التي أراد شعيب (عليه السلام) إبصالها هو أن يفهم قومه أن الحياة لا تستقيم في ظل الابتعاد عن عقيدة التوحيد لأن ذلك يؤدي إلى الظلم المتعلق بحقوق الناس ، فيعم الفساد وتشيع الفوضى ويستولي القوي على الضعيف، ويصبح هذا الأخير خاضعاً لشرور الملكية وعتوها ، ولرغبات التملك بأية وسيلة تكون ، فيطغى المالكون ويبجحون لانفسهم التصرف بكل شيء ، ليصل من وراء كل ذلك إلى عدم الفصل بين الدنيا والدين أي أن في إرشادهم إلى التوحيد تكمن الحرية من حب المال المجنون ، وهو الدواء الناجع لداء الطمع والجشع .

٢ - إصلاح التفكير:

إن التجاوز في السعي وراء شهوة حب المال ، يفقد الإنسان في أغلب الأحيان أسس التفكير السليم ، فتختلط عليه المفاهيم ، وتغيب عنه القيم ، فيصبح عبداً مملوكاً لذلك المال والجاه ، لا يراعي في تصرفاته ومعاملاته حقوقاً ، وهو الشأن الذي لمسناه سيدنا شعيب (عليه السلام) في قومه .

فقام بإزالة الغبار عن مفهوم ساد في ذلك الوقت ، ويتعلق الأمر بموضوع الحرية الإنسانية التي أختلط مفهومها عند أهل مدين بالفوضى والدوس على كرامة الناس على اعتبار أن الإنسان حر فيما يملك ، فيتصرف بغير رشد ، فيحق له أكل أموال الناس بالباطل ، وهضم حقوقهم ، كل ذلك في سبيل جمع أكبر قادر من المال ، بلغ الأمر حد فرض ضرائب ومبالغ مالية على القوافل المارة بديارهم فأسسوا بذلك لقانون الغاب - الغلبة للأقوى- فنبههم شعيب (عليه السلام) إلى وجوب الابتعاد عن هذه الأفكار المدمرة للاقتصاد والقاطعة لحبل العلاقات الاجتماعية على حد سواء ، قال (عليه السلام) ﴿ وَلَا تَعْبُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢٢) فنادي (عليه السلام) بالعدل في التعاملات على أساس أنها حقوق مادية محددة وواضحة تقاس وتكال وتوزن، فقال: " وأوفوا الكيل" ذلك أن أي خلل في هذه المعايير يعني خللاً في الحقوق، التي تستثير في النفس الإحساس

بالظلم الذي يتولد عنه فساد على مستوى الاقتصاد الذي يفرز بدوره مفهوم الطبقة والذي يلحق أثره إلى مستوى العلاقات الاجتماعية . وطلب الوفاء بالكيل كانت دعوة شعيب (عليه السلام) ، ليأتي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيؤكلها ما على طرحته سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٢٣) ، فكان بخس الناس أشياءهم هو اشد أشكال الفساد فتكاً في المجتمع ، بينما العدل هو المطلوب الذي يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع ، على اعتبار أن أي نشاط اقتصادي معظمه هو نشاط كمي للمقاييس المختلفة التي تضبط الحقوق ، فكان الطريق هو اختيار الاستقامة الذي أمر به الحق تعالى في قوله : ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٤) .

ويلخص ابن عاشور مهمة سيدنا شعيب (عليه السلام) بقوله : " وحاصل ما أصلحه شعيب بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاث نقاط : حفظ حقوق المعاملة المالية ، وحفظ نظام الأمة ومصالحها ، وحفظ حقوق حرية الاستهداء " (٢٥) .

من منهجه في الإصلاح:

١. الأخوة : انطلق شعيب (عليه السلام) في دعوته الإصلاحية بمنطق الأخوة الإنسانية ، فأكد القرآن الكريم على هذا المعنى في ثلاثة مواطن ، قال تعالى : ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٢٦) ، أخوة بعيدة عن الجفوة والقسوة ، بل تطف في جدالهم ، وأثر استمالتهم باللين واجتذابهم بالرفق وذكرهم بما بينه وبينهم من صلة ، حيث كان ذلك أدعى لقبول النصيح والانصياع للرأي وأدل على الرغبة في الخير والنفع (٢٧) .

٢. الحوار : أثر شعيب (عليه السلام) الحوار والجدال بالتي هي أحسن ، وساعده على ذلك فصاحته وخطابته ، فقد قال (عليه الصلاة والسلام) : " ذاك خطيب الأنبياء " لفصاحة عباراته وجزالته وعظته وحسن مراجعته القوم بالحجج والبراهين .

٣. القدوة : انطلق في إصلاحه من أرضية صلبة وبرؤية واضحة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَاطُمْ عَنْهُ﴾ (٢٨) ، ملتزماً بما أمر قبل أن يدعو إليه، مستقيماً بما أمره عز وجل ، فسلوك طريق الهدى الرباني من أعظم الأسباب التي تحقق للإنسان السعادة الدنيوية والأخروية ، وأن المال ما هو إلا وسيلة اختبار قد تكون سبباً في النجاة كما قد يحصل معها العكس ، كل ذلك يؤكد على صدق نيته ودعوته ، صدق في الفعل والقول .

٤. الإخلاص: لم يفكر شعيب (عليه السلام) في تحصيل معالم أو مصالح شخصية من هبه من ما دام عليه أهله، وإنما انطلق من باب تبليغ الرسالة التي حمله إياه الحق تعالى، وهو لا يبتغي أجراً من أحد سوى أن يأجره صاحب الملك الذي لا ينفذ ، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) .

٥. التدرج: أعتماه (عليه السلام) أسلوب التدرج في الإصلاح، جاء في التفسير المنير أنه " يلاحظ أن شعيب قد ركز في دعوته أولاً على الإصلاح الداخلي بإيقاد المكيال والميزان وعدم الإفساد في البلد، ثم أنتقل إلى الإصلاح الخارجي بإزالة الموانع والعقبات أمام نشر دعوته للذين يزدرون أرضهم، هذا من جهة " (٣٠) ، ومن جهة أخرى فقد جاء في التحرير والتنوير أننا " نجد أن شعيب في الإصلاح الداخلي المتعلق بإيقاد المكيال والميزان، أبتدأ أولاً عن نهيمهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف، ثم

أرتقى فنهاهم عن جنس ذلك وهو أكل أموال الناس بالباطل ، ثم أرتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد ، وهو الإفساد في الأرض كلها ، وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس لقبول الإرشاد والنصح^(٣١) .

٦. الاستطاعة في الإصلاح : فقد حاول (عليه السلام) بذل ما في وسعه لإيصال هذه الرسالة، ولم يدخر جهداً سواء بالفعل أو بالقول، رغم ما كان يلقاه من سخرية وإستهزاء، فبقي صامداً في أحواله بين الترغيب والترهيب إلى أن سدت جميع الأبواب، فأخبر قومه بأنه لن يأسف على قومه بعد أن أدى ما عليه قائلاً: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾^(٣٢)

الإصلاح الشامل للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنموذجاً:

بعد عرض مسيرة الإصلاح عند بعض الأنبياء (عليهم السلام) ، والتي تعرض كل منها إلى جانب من جوانب الحياة ، لتجتمع كلها في إصلاح خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتطبق عليه سمة الشمولية ، يقول الشعراوي : " لقد وضع الحق تبارك وتعالى كل القصص القرآني في رسالة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) " ^(٣٣) .

وفي ذات المعنى ذكر الشيخ الغزالي : " وقد نظرت إلى العلل التي توزعت على الأولين وأودت بهم فوجدتها تتلاقى في رحاب هذه الحضارة ، وتنتشر بين نظمها المختلفة"^(٣٤).

فالإصلاح المحمدي أحدث نقلة نوعية وتغيراً جذرياً للعالم حارت العقول وعجزت الأقلام عن وصفه ، وفي هذا المقام يذكر الداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي ^(٣٥) ، واصفاً إصلاح النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : " أتى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بيت الدعوة والإصلاح من بابهِ ، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه ، ذلك القفل المعقد الذي أعيأ فتحه المصلحين ، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه ، فأنتحلت معه كنوز والعجائب والقوى والمواهب فأصاب الجاهلية في مقتلها وصميمها ، وأصمى رميته وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينحى نحواً جديداً ، ويفتح عهداً سعيداً ، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ " ^(٣٦) . عهد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء ، سما بصاحبه إلى أعلى قمة في قمم المائة أولى ، يقول محمد الغزالي : " كلما قرأت كتاب " القمم المائة الأولى رأيت المؤلف يذكر كأنه مضطر إلى جعل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أول هذه القمم ، وإن لم يكن على دينه ، لأن الدلائل كلها إلى جانبه... " ^(٣٧) ، قمة تحدى بها محمد رشيد رضا العالم حين قال : " نحن المسلمون نتحدى الفلاسفة والمؤرخين والحكماء وعلماء الحياة والاجتماع والأخلاق من جميع الأمم بأن يأتونا بمثل ما أتى به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بما يقرب منه ، فليدلنا العلماء على نبي من الأنبياء ، أو ملك من الملوك ، ربي أمة من الأمم في عشر سنين فجعلهم أهلاً لفتح الأمصار والسيادة على الأمم "^(٣٨).

وقبل الحديث عن الإصلاح العظيم الذي قاده النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لابد من تصوير عام للعالم الذي بعث فيه وللاوضاع السائدة آنذاك ، حيث تجد أن كتب السيرة زاخرة بذلك ، باعتبارها والمصادر نقلت لنا أخبار العالم قبل وبعد البعثة ، وفي هذا الصدد ذكر الدكتور يوسف القرضاوي نقلاً عن الداعية أبي حسن الندوي قوله : " بعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والعالم مصاب بزلزال شديد ، عالم في حضيض الظلمات والضلالات أحاطت به من كل جانب ، عقيدة فاسدة الإنسان فيه قد هانت عليه إنسانيته ، فأصبح يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل ما لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، يعيش بين أوهام الوثنية ، ورجس المجوسية ، وانحرافات اليهودية والنصرانية ، صورها القرآن في قوله تعالى : II لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٣٩) ، ضلال في التصور والاعتقاد نشأ عنه أنحراف في العبادات والعادات ، وترتب عنه فساد في السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

مجتمع فاسد هو الصورة المصغرة للعالم ، كل شيء فيه على غير شكله ، قد أصبح فيه الذنب راعياً والخصم الجائر قاضياً ، والمجرم سعيداً حظياً ، والصالح محروماً شقيماً ، لا أنكر في هذا المجتمع المعروف ولا أعرف من المنكر ، وعادات فاسدة تستعجل فناء البشرية ، وتسوقها إلى الهلاك ، فخر حتى الإدمان ، وربا حتى الاغتصاب ، وقسوة وظلم إلى حد الوأد وقتل البنات ، بل أكثر من ذلك ، مواهب بشرية ضائعة رائعة لم ينتفع بها ، ولم توجه التوجيه الصحيح ، حتى تحولت الشجاعة فتكاً وهمجية ، والجود تبذير أو إسرافاً ، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والإبداع في إرضاء الشهوات ، أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق ، ينتفع بها في هيكل حضارة ، وألواح خشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة ، فكان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان الإصلاح^(٤٠).

هذا الإصلاح الذي تضيق به الكتب ويطول حبل حديثه ، مما يجعل الوقوف عليه والإمام به مهمة شاقة ، لا يسع المقام بذكره كله ، لذلك ستقتصر المحاولة في الوقوف على أهم الجوانب بعرض مواقف منها ، شهدت كتب السنة قوتها من خلال أحاديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي ضمن النقاط التالية :-

١. إصلاح الإنسان:

بداية بإصلاح العقيدة في فكر الإنسان ، التي أفسدها أهل الكتاب وذلك من خلال الدعوة إلى التوحيد الخالص، باعتباره القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الحياة، حاثا العقل على النظر والتفكير في دلائل قدرة الله وآثار رحمته، وعجيب صنعه ، وبديع خلقه، في النفس والكون والأفاق، متمماً ذلك بالنهي إنباع الظن والتقليد في العقائد والأحكام، ذلك أن العقيدة لا مجال فيها للظن والهوى ، بل هي مبنية على اليقين القاطع، أما التقليد الأعمى فهو حجاب العقل المانع له من الانطلاق ، والمعوق له عن التفكير .

يقول أبو الحسن الندوي: " فكان أن أسس مدرسة إيمانية واسعة ، أحدثت انقلاباً في نفوس الناس ، فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله أنقلبت حياته ظهراً لبطن ، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين ، ومن خوارق الأفعال والأخلاق، ما خير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ، هذا الإيمان الذي قيل فيه أنه أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق ، وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية " ^(٤١).

٢. إصلاح الاجتماع الإنساني^(٤٢):

بعد أستواء هذه المدرسة الإيمانية ونجاح أفرادها وتلامذتها بتفوق وتميز ، أتجه إلى إصلاح الاجتماع الإنساني والعلاقات التي تحكمه من ذلك:

أ - إصلاح السياسة ونظام الحكم : حيث وضع الخطوط العريضة التي تكفل الحياة الطيبة بين الحاكم والرعية ، فأنطلق من أهم نقطة وهي التحاكم إلى منهج الله المبين في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فحقق بذلك وحدة الأمة ، فكراً وسلوكاً ، بالرجوع إلى هذا الأصل في كل تفاصيل الحياة ، ثم إقامة العدل وإقرار المساواة بين الناس ، ليجمع بذلك الأمة على المحبة والعيش الطيب ، بالإضافة إلى ممارسة الشورى ، باعتبارها أساس العلاقة بين الحاكم والرعية ، والتي تجعل من الجميع شركاء في الحكم ، فتتلاقح الأفكار لتتنظم في نسق ثري يسمح بتنوع فكري ، يصل في النهاية إلى الوصول في غالب الأحيان إلى سداد الرأي وصوابه وتحقيق الحرية للأفراد .

ب - إصلاح الأخلاق والعلاقات الاجتماعية : حيث حول الأخلاق إلى أعلى المبادئ الخلقية ، وأسمى الأصول الأدبية ، فكانت دائرة الإصلاح فيها واسعة شملت جميع الناس ، وشملت جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو غيره ، حاثا على جملة من الأخلاق التي من شأنها تقوية الأفراد أنفسهم ، كالفقاعة والزهد ، والحياء ... وتقوية العلاقات الاجتماعية بين بعضهم البعض ، من خلال دستور جمع بين طياته جملة من الآداب والتقاليد التي تجعل من التفكير الجماعي والسلوك الجماعي جزء لا يتجزأ من حياة المسلم ، كإكرام الجار ، وصلة الرحم ، وغيرها من .

ج - إصلاح الاقتصاد: حيث أنطلق (صلى الله عليه وآله وسلم) من طبيعة الإنسان المحبة للمال ، مصححاً النظرة في ذلك ، فحث على جمعه بطرق الحلال من خلال إيجاب العمل ، ومحاربة البطالة ، ونهى عن الكسب الخبيث ، فحرم الربا ، والاكتناز ، ودعا إلى إلزام القيم والأخلاق في المعاملات الاقتصادية كالصدق والأمانة إلخ

من ملامح منهج الإصلاح المحمدي:

أنفرد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في طرحه لمنهج الإصلاح ، عن بقية المناهج النبوية السابقة وما مناهج وضعية ، وضعها الصالحون من بعدهم من أبناء البشر ، فقد أجمع في إصلاحه خصائص الإصلاح التي أنتهجها السابقون من الأنبياء والصالحين ، ليتسنى لأصحاب الرسالة الخاتمة أن يسيروا في درب الإصلاح ، حاملين رصيذاً زاخراً منها ، يكون بمثابة الضوء الذي ينير لهم دربهم ، ويذل عليهم صعابهم .

هذا الأخير الذي سبق وأن تم توضيحه في منهج القرآن الكريم في إصلاح لحقها من معه المجتمع والذي ذكرنا مجموعة منها : الربانية ، الشمولية ، التدرج ، الثبات ، الواقعية التيسير .

لنخلص في النهاية أن أعظم إصلاح هو إصلاح خاتم الأنبياء (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأعظم منهج على الإطلاق منهجه الذي جمع فيه خير ما كان من الصالحين والأنبياء ، وما سيكون ممن اختاروا دربه وساروا على نهجه .

فدعوته ومنهجه في الإصلاح ليس لها نظير في تاريخ الأمم والشعوب.

الهوامش:

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥، ص٩٥، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح

العربية، ج٢، ص٥٢٤، وانظر: الرازي، مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

(ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج١، ص٥٦.

(٢) انظر : ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥، ص٩٥.

(٣) انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، (د.

ت)، ج١، ص٣٩٦، وانظر: ابن منظور، لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال

الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ، ط١٤١٤هـ، ص٣١٤،

ج٥، ص٣٦٤٢، وانظر: الكفوي، أيوب، بن موسى الحسيني القريمي (ت١٠٩٤هـ): الكليات، تحقيق

: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٥٨.

(٤) انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)،

العين، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج٥، ص٥٥.

- (٥) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص ٣٩٦.
- (٦) انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت)، ج٢، ص٣٨.
- (٧) انظر: مرطان، سعيد سعيد، مدخل الفكر الاقتصادي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٦٣.
- (٨) انظر: بواقجي، عبد الرحيم، مبادئ في علم الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية، مطبعة الداودي، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥.
- (٩) أكرم عبد العزيز، الإصلاح المالي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٧م، ص١٧.
- (١٠) القحطاني، مسفر بن علي، النظام الاقتصادي في الإسلام، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢.
- (١١) احمد فتحي العال، النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه، دار غريب، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠ م، ص١٥.
- (١٢) سورة آل عمران : ١٤.
- (١٣) محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٦٢ .
- (١٤) سورة هود : ٨٨.
- (١٥) محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : ١٥٦ .
- (١٦) سورة الحجر : ٧٨.
- (١٧) سورة الاعراف : ٩٣.
- (١٨) القرطبي ، ابو عبدالله احمد بن محمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ)، في الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦ ، المجلد ٤ : ٨٧.
- (١٩) محمد عبد الحليم عمر : دروس اقتصادية من قصص الأنبياء، موسوعة الاقتصاد والتمويل الاسلامي، بحث منشور بتاريخ : ٨ ايلول ٢٠١٠ ، على الرابط : <https://iefpedia.com/arab/?p=20882>
- (٢٠) سورة العنكبوت : ٣٦.
- (٢١) زاهية الدجاني، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة، دار التقريب بين المذاهب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٥م : ٨٨.
- (٢٢) سورة الأعراف : ٨٦ .
- (٢٣) سورة المطففين : ١-٣.
- (٢٤) سورة هود : ١١٢.
- (٢٥) محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤. : المجلد ٥ : ٨ / ٢٤٣ .
- (٢٦) سورة هود : ٨٤ ، سورة العنكبوت : ٣٦ ، سورة الاعراف : ٨٥.
- (٢٧) محمد بسام رشدي الزين في مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : ١٥٦.

- (٢٨) سورة هود : ٨٨ .
- (٢٩) سورة الشعراء : ١٨٠ .
- (٣٠) وهبة الزحيلي : التفسير المنير، ط٢، دمشق دار الفكر المعاصر : ٨ / ٢٩٤ .
- (٣١) محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير : المجلد ٦ / ١٠ / ١٣٨ .
- (٣٢) سورة الأعراف: ٩٣ .
- (٣٣) الشعراوي: قصص الأنبياء، مكتبة التراث الإسلامي، مصر ودار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، (د.ت)، ج ١، ص ٢٧ .
- (٣٤) محمد الغزالي في المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق- سوريا، ط٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ص ١٠٣ .
- (٣٥) هو علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي، ولد في ٦ محرم ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م، في أترابريش اشتغل بالتدريس ،في التفسير والأدب، ثم بالتأليف والدعوة، من مؤلفاته: ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين وقصص النبيين، ارجع رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط١: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ١، من أ إلى ز .
- (٣٦) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار القلم ، دمشق - سورية ، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م : ٩٩ .
- (٣٧) محمد الغزالي في علل وأدوية : دار الشروق ، القاهرة - مصر ، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م : ١١١ .
- (٣٨) عبد العزيز بن آل الشيخ : المختار من المنار ، الرياض - السعودية ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م : ٢ / ١٩٣ .
- (٣٩) سورة ال عمران : ١٦٤ .
- (٤٠) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي: دار القلم، دمشق - سورية ، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م : ٩٥ - ٩٦ .
- (٤١) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٠٥ .
- (٤٢) محمد السيد يوسف : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.م) ، (د.ت) : ١٦٥ .

**Economic reform according to Sheikh Salih al-Ta'i in his book The
Landmarks of Faith in the Interpretation of the Qur'an**

Researcher / Heba Farouk Ghadban Al-Sudani

Tel .no: 07722273720

Ffef99@gmail.com

Assist. Prof . Dr. Intisar fadel mukhef

intisar.fadhil@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Economic reform is one of the first demands of the people, due to the economic spread in societies, Its types are so diverse that they have become devastating to the economies of countries and the most affected countries are Islamic countries, I took care of the Islamic Sharia, which came from the Book of God and the Sunnah of His Prophet (may God bless him and grant him peace), economic reform by prohibiting all types of illegal gain such as: usury, bribery, fraud, theft, rape and so on, And Islamic law has worked to find solutions to obtain legitimate income, by urging work, And relying on economic solidarity in Islam, in the obligation of zakat and the encouragement of alms, He made obligatory penances to feed the poor or free slaves, and other solutions that raised the standard of living for some people and reformed their economic and living conditions. We know economic reform in language and terminology.

Keywords: interpretation – reform – economic